The Structure of Poetic Discourse of Al-Qadi Al-Fadil Al-Baisani in the Light of Classical and Modern Criticism

1. Asst. Lect. Abulqader Hameed Neamah AL-JANABI
Al-Farahidi University / M.A. in Arabic Language / Literature
abd.hameed@uoalfarahidi.edu.iq

2.Asst. Lect. lqbal oudah jabar
Al-Farahidi University / M.A. in Arabic Language / Andalusian Literature
iqbal.oudah.jebur@uoalfarahidi.edu.iq

ABSTRACT

This study aims to examine the structure of poetic discourse in the poetry of Al-Qadi Al-Fadil Abd al-Rahim Al-Baysani in light of both classical and modern literary criticism. It seeks to identify the artistic and semantic features of his poetic discourse, explore the mechanisms underlying its construction, and investigate how classical and contemporary critics have approached and interpreted his poetry. The study adopts a descriptive-analytical approach by examining and analyzing selected poetic texts of Al-Qadi Al-Fadil, one of the most distinguished literary figures of the Fatimid and Ayyubid periods, whose literary creativity was profoundly influenced by his political and administrative experience.

The findings reveal that Al-Qadi Al-Fadil's poetic discourse reflects the personality of a versatile intellectual who combined philosophy, literature, and profound thought. His poetry serves as a faithful representation of human concerns on the individual, social, and civilizational levels, preserving within its structure the history, symbols, experiences, wisdom, and values of humanity. The study also demonstrates that his writings portray the image of the educated Arab intellectual who possessed a deep awareness of the issues of his time. Moreover, his poetry transcended personal emotions by employing moral and social criticism to confront envy, hostility, and negative behaviors, thereby endowing his poetic discourse with significant humanistic, intellectual, and aesthetic dimensions. These characteristics confirm the literary and critical value of his poetry from both classical and modern critical perspectives.

Keywords: Al-Qadi Al-Fadil Al-Baysani; Poetic Discourse Structure; Classical Criticism; Modern Criticism; Arabic Poetry; Descriptive-Analytical Approach

بنية الخطاب الشعري عند القاضي الفاضل البيساني في ضوء النقدين القديم والحديث

م.م.عبد القادر حميد نعمة[1]
جامعة الفراهيدي / ماجستير لغة عربية / ادب
abd.hameed@uoalfarahidi.edu.iq
م.م.اقبال عودة جبر[2]

جامعة الفراهيدي / ماجستير لغة عربية / الادب الاندلسي
iqbal.oudah.jebur@uoalfarahidi.edu.iq

ملخص البحث
يهدف هذا البحث إلى الكشف عن بنية الخطاب الشعري عند القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني في ضوء النقدين القديم والحديث، من خلال دراسة الخصائص الفنية والدلالية التي تميز شعره، وبيان آليات تشكّل الخطاب الشعري لديه، واستجلاء رؤية النقاد القدامى والمحدثين لهذا الخطاب. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في تتبع الظواهر الفنية واللغوية وتحليلها، بالاستناد إلى نماذج من شعر القاضي الفاضل، بوصفه واحدًا من أبرز أعلام الأدب في العصرين الفاطمي والأيوبي، وصاحب تجربة أدبية امتزج فيها الإبداع الشعري بالخبرة السياسية والإدارية.

وتوصل البحث إلى أن الخطاب الشعري عند القاضي الفاضل يعكس شخصية موسوعية تجمع بين الفكر والفلسفة والأدب، وأن شعره كان مرآةً صادقةً لهموم الإنسان وقضاياه الفردية والاجتماعية والحضارية، وحمل في بنيته تاريخ الإنسان ورموزه وتجاربه وحكمته. كما أبرزت الدراسة أن كتاباته جسدت صورة الإنسان العربي المثقف الواعي بقضايا عصره، ولم تقتصر على التعبير عن المشاعر الذاتية، بل اتخذت من النقد الأخلاقي والاجتماعي وسيلةً لمواجهة الحسد والعداوة والسلوكيات السلبية، مما أكسب خطابه الشعري بعدًا إنسانيًا وفكريًا وجماليًا، وأكد قيمته الأدبية والنقدية في ضوء المناهج النقدية القديمة والحديثة.
الكلمات المفتاحية: القاضي الفاضل البيساني، بنية الخطاب الشعري، النقد القديم، النقد الحديث، الشعر العربي، التحليل الوصفي.

التمهيد:
إن العصر الفاطمي مليء بالأحداث الأدبية والتاريخية والدينية فما يهمنا في هذه الرسالة هي النشاط الأدبي في تلك الحقبة.
قبل الشروع في التعريف بالقاضي الفاضل فلابد من الإشارة إلى الأحداث التاريخية المهمة في تلك الحقبة وما حدث فيها من اهتمامات بالشعر والشعراء والأدباء، والتحولات والصراعات والانقسامات حول الحكم ومن هو القائم على إدارة الدولة الإسلامية آنذاك .
والدولة الفاطمية أخذت مكان مميز وفعال في تاريخ مصر الإسلامية، حيث صار المؤرخين والباحثين يكتبون عن تلك الحقبة لما فيها من مآثر وأيضا لما فيها من صراعات سياسية.
فترة الحكم الفاطمي في مصر (٩٦٩ - ١١٧١م)، والتي استمرت حوالي قرنين من الزمان، قد استولت على اهتمام واسع من الباحثين ، وهي تتطابق بصورة واضحة مع التطور الداخلي الخاص للبلاد في المرحلة التاريخية المعبر عنها.[1]
وفي سبب شرف هؤلاء الفاطميين أقوال كثيرة، فمن الناس من نسبهم إلى فاطمة ١٢ بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم. ومن الناس من نسيهم إلى الحسين بن محمد بن أحمد بن القداح، وكان أصل القداح من أبناء المجوس، وهذا أشهر نسبهم عند أرباب التواريخ[2].

- الحياة الأدبية :
يبدأ العصر الفاطمي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وهو القرن الذي ارتقى فيه الأدب العربي عامة وازدهر الشعر والنشر، فأخرج كبار شعراء العربية أمثال أبي الطيب المتنبي والشريف الرضي ومهيار الديلمي والصنوبري وأبي العلاء المعري من شعراء الشرق والشام، كما أظهر من شعراء الغرب ابن هانئ وغيره من شعراء الأندلس وفضلاً عمن خرج في هذا القرن من كبار الكتاب أمثال أبي هلال الصابى، وأبي حيان التوحيدي، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وبديع الزمان الهمذاني، والخوارزمي، ومن الأدباء والنقاد وعلماء العربية الكبار كالآمدي، والقاضي الجرجاني، وأبي هلال العسكري واحامي.
وكان للشعر في القرنين الخامس والسادس دوره الكبير في الحياة الأدبية وإن نافسته الكتابة وحاولت أن تتقدم عليه، وتدفع به إلى مكانة متأخرة، ذلك أن الشعراء الكبار الذين كانوا يفرضون وجودهم على الرأي العام الأدبي، بإبداعهم المتفوق ومكانتهم الفنية قد قلوا بل ندر وجودهم، على غير الحال في القرون السابقة. ولهذا لم نجد اسما بارزا في هذين القرنين يستطيع أن يحتل المكانة التي احتلها المتنبي مثلاً في القرن الرابع ولا أبو تمام والبحتري وابن الرومي في القرن الثالث اللهم إلا من كان علامة ظاهرة كأبي العلاء المعرى.
ومن هنا كان الشعراء في هذين القرنين من الطبقة الوسطى في فنهم الشعري ومكانتهم الإبداعية. كان ذلك لأسباب كثيرة. ومن وظهر في هذين القرنين طبقات من الشعراء غير المحترفين، إذا صح هذا التعبير. لم يتكسبوا بالشعر، وإن غلب على معظم الشعراء التكسب، ومن بين غير المحترفين جماعة الكتاب نظموا الشعر إلى جانب الكتابة، وألحقوا هذا النظم بكتاباتهم فاختلط فيها النقر بالشعر وكانت ظاهرة هذين القرنين التي عمت من بعد واتبعها الكتاب في العصور التالية[3].

[1] سيمينوفا، تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة وتحقيق حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م.ص١٩.
[2] محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس، أبو البركات، بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٤١٩٨٤ ج١ ص١٨٧.
[3] محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الفاطمي، الإسكندرية: منشأة المعارف، ص٩-١٠.

وكانت الدولة الفاطمية من أعظم الدول التي عاشت في مصر أكثر من قرنين من الزمان، وكان لها تاريخ حافل، ولخلفائها في الحضارة الإسلامية أثر بعيد؛ فهم الذين أسسوا القاهرة الشعرية؛ فكانت قبة الإسلام، وحاضرة الأنام ، وغرة جبين الزمان، وأنشئوا الجامع الأزهر ؛ فكان منيعا للعلوم الإسلامية ومنارة للمعارف والآداب على مر الزمان، كما أقاموا دور الكتب والخزائن ، وجلبوا إليها الكتب والأسفار ورصدوا لها الأموال، وأعدوا لطلاب المعرفة القوام والنساخ، وهوت إليها أفئدة العلماء من شتى الجهات ، ينهلون العلم من أعذب مورد وأصفاه[1].

وشجع الفاطميون الشعر والشعراء لأن خلفاءهم كانوا عرباً يتذوقون الأدب والشعر ويقولونه. وقد رويت أشعار لمعظمهم، كما قام على تشجيع الشعر والشعراء وزراء الفاطميين الكبار أُمثال يعقوب بن كلس، والأفضل بن بدر الجمالي، والصالح طلائع بن رزيك، وجمع بلاط هؤلاء جماعة من الشعراء، إلى نوافذ الشعراء وتكاثرهم حول بلاط الخلفاء، وإلى مجالس الوزراء وكبار رجال الدولة من القادة، والقضاة.

وأجزل هؤلاء العطاء للشعراء . ورتبت الدولة لهم ديوانا جعلوا علية قيماً. وكان الوزراء والقادة يعتبرون شعر المديح ضربا بها الشعراء لساحتهم ، كما كان الخلفاء يعتبرونه كذلك. ولم تكن مناسبة من المناسبات سياسية أو اجتماعية أو عيداً من الأعياد السامية من الخدمة التي يتقدم[2]، وكان من الشخصيات التي بزغ نجمها في هذا العصر في محال الكتابة النثرية وأيضا في بجال الشعر، هي شخصية القاضي الفاضل التي حظيت بشهرة كبيرة في محال النقر وأيضا الشعر فعلينا التعرف على هذه الشخصية التي لاقت رواجا كبيرا في هذه الفترة، وتأثر بها الكفير من الكتاب والشعراء في هذه الفترة، ويمكن التعرف على شخصية القاضي الفاضل من خلال هذه النقاط وعلى هذا النحو :

- اسمه:

لقد جاء اسم القاضي الفاضل في شكل أسماء متعددة، بل إلى جانب عدة ألقاب أطلقت عليه،

وكانت أغلب هذه الألقاب قريبة الدلالة على اسمه وشخصيته ووضعه الأدبي والعلمي بل والقيادي في تلك الفترة الحاسمة، على هذا النحو:

فاسمه المولى الأجل القاضي الفاضل الأسعد أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي المجد علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن البيساني[3].

أو: هو المولى القاضي الأجل الفاضل الأسعد أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي المجد علي بن الحسن البيساني[4].

والإجماع على أن اسمه : عبد الرحيم بن علي بن السعد اللخمي المعروف بالقاضي الفاضل ، وزير من أئمة الكتاب ولد بعسقلاني بفلسطين، وانتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة وتوفي فيها[5].

- نسبه:

ينتمي نسب القاضي الفاضل إلى قبيلة لخم وهي من القبائل العربية العريقة، فقد قدمت لخم وكنانة إلى بلاد الشام وانتشرت فيها فإذا استقرت لخم بفلسطين، فإن كنانة قد استقرت في شرقي نمر الأردن، وهناك دلالة الاسم ما زالت مائلة وهناك منطقة جغرافية في شمال الأردن متاخمة للجولان وشمال فلسطين ، هي لواء بني كنانة وقيل هذه التسمية لها علاقتها بقبلة كنانة العربية المشهورة"، أما قبيلة لخم فقد امتدت في فلسطين ما بين الرملة ومصر على الساحل الفلسطيني ومعظم سكان فلسطين يرتدون إلى قبلة لخم[6].

المبحث الأول: شعره في النقد القديم، وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: آراء النقاد القدامى في موضوعه الشعري.

قلنا قبل ذلك أن القاضي الفاضل هو عبد الرحيم البيساني العسقلاني الملقب بالقاضي الفاضل، أصل أبيه من بيسان، وتولى القضاء والحكم بعسقلان[7].

ولما شب ابنه عبد الرحيم أرسله إلى ديوان الإنشاء بالقاهرة في العصر الفاطمي أيام الحافظ "٥٢٤-٥٤٤" فتلمذ فيه على أَشْهَرِ الكتاب والشعراء في هذا العصر[8].

ثم التحق بخدمة قاضي الإسكندرية المعروف بابن حديد، ثم تركه إلى ديوان الإنشاء بالقاهرة مرة أخرى في عصر الظافر الفاطمي "٥٤٤ - ٥٤٩"[9]، ولما استقل أسد الدين شيركوه بالوزارة التحق بخدمته، ثم بخدمة صلاح الدين من بعده وقرَّبه صلاح الدين منه، وسرعان ما أصبح وزيره ومشيره الأول في شئون الدولة، وأتاحت له هذه الصلة أن يلمع اسمه في سماء الأدب: شعره ونثره؛ فقد أكثر المؤرخون[10].

وكان القاضي الفاضل شاعرا، وله ديوان شعر، تناول فيه أغراض مختلفة، كالغزل، والفخر، والوصف، والرثاء، والخمرة، والحكمة، والعتاب، والمدح، والهجاء ، والشوق، والاعتذار، بالإضافة إلى النذر القليل من الموشحات ، وكان شعره يتميز بحس إنساني خالد، يعكس نفسا إنسانية ذات تجربة عميقة في الحياة، ولقد قال الكتاب والشعراء الكثير فيه فمتهم من مدحه؛ حيث يقول فيه العماد الأصبهاني: (رب القلم والبيان

---

[1] خطط المقريزي ج٢ ص٨.

[2] محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الفاطمي، الإسكندرية: منشأة للعارف، ١٩٩٣م ، ص ٩.

[3] عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني، ريدة القصر وجريدة العصر، تح: أحمد أمين وآخرون، القاهرة: د.د، ١٩٥١م، ص ٣٥.

[4] عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم الزبيق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م ، ص ٤٧٥.

[5] خير الدين الدمشقي الزركلي، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٧م، ص ٣٤٦.

[6] محمود محسن فالح، عشائر شمالي الأردن، عمان: دار عمار، ١٩٩٠م، ص ١٣٥.

[7] أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ١/٥٠.

[8] أبو شامة، الروضتين ٢/٢٤٤.

[9] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٤٠٨.

[10] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ٤٩٢.

واللَّسن واللسان، والقريحة الوقَّادة، والبصيرة النقادة، والبديهة المعجزة، والبديعة المطرزة، والفضل الذي ما سمع في الأوائل ممن لو عاش في زمانه لتعلق بغياره، أو جرى في مضماره فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع، ورسخت بها الصنائع)[1].

ويرى الباحث أن تمجيد صاحب الخريدة هو الذي جعل صلاح الدين الصفدي وابن حجة الحموي يقعان في خطئهما ويظنان أن القاضي الفاضل هو الذي استحدث التورية! ونحن نتساءل ما هي الشريعة التي يشير إليها العماد؛ فإن من يرجع إلى ديوان القاضي الفاضل[2].

ولا يجد فيه إلا شاعرًا من الطبقة الثانية، ومن الصعب أن نقرنه إلى الشعراء الممتازين في العصر الفاطمي لا من حيث روحه وقلة الدُّعابة عنده، بل من حيث شعره العام؛ إذ نرى فيه آثار التكلف والتلفيق واضحة كقوله في القصيدة الأولى من ديوانه يصف بلاغته[3].

ولي قلمٌ منه عينُ الكلا ... م يجري فتنظرُ عين الكمالِ
يراعٌ تظل رياضُ الطرو ... س منها موشحة بالصلال
وكتبٌ يفيضُ بأرجائها ... يمين الْجَدَا ولسان الجدالِ
تقدَّمها الشكلُ من فوقها ... كمثل السهام أمام النّصالِ
وكم بريت وانبرت للعدوّ ... كوثب الشرار وهدّ الجبالِ
وكم قد كسبن عواري طبًا ... وكم قد سَلَبن عواري عوالي
يكلّل أفلاك قرطاسِها ... شموس شوامسُ عند الزوالِ

فهل تجد في هذا الشعر روحًا أو جمالا سوى هذا التلفيق للجناس، وكان يتصنع له كثيرا كما كان يتصنع الضروب الطباق والتصوير الأخرى من تشخيص وغير تشخيص، وأيضًا فإنه كان يتصنع لاصطلاحات العلوم كقوله[4]:

لي عندكم دينٌ ولكن هل له ... من طالبٍ وفؤادي المرهونُ
فكأنني أَلِفّ ولامّ في الهوى ... وكأن موعد وصلكم تنوينُ

أو تورياته فلعل أطرفها ما رواه ابن حجة من قوله[5]:

في خدِّه فخٌ لعطفةِ صُدغِهِ ... والخالُ حبَّتُه وقلبي الطائرُ

وقوله[6].

بالله قل للنيل عني إنني ... لم أشفَ من ماءِ الفرات غليلا
وسل الفؤاد فإنه لي شاهد ... أن كان طرفي بالبكاء بخيلا
يا قلب كم خلَّفت ثمَّ بثينةً ... وأظن صبرك أن يكون جميلا

فقد وزَّى في الطائر وجميل.

ومما نلحظ أنه مهما يكن فشعر القاضي الفاضل لا تبدو عليه خفة الروح التي رأيناها في الشعر الفاطمي، وربما كان ذلك يرجع إلى أنه ليس مصري النشأة؛ إذ كان من عسقلان؛ فهو لا يعبر عن الروح المصرية. على أننا قلما نحد عند غيره هذه الروح، وكأنما نضب معينها تحت لفح الحروب الصليبية، وأيًا كان فشعر القاضي الفاضل واضح فيه التكلف والتصنع لألوان البديع ومصطلحات العلوم، وهو شعر في الجملة مصنوع، وقلما نجد فيه شعورًا أو جمالًا[7].

سمات شعر القاضي الفاضل :

- الشعر العذري العفيف الذي يعاني فيه المحب من المحبوب كثيرا حيث لا يجده منه سوى القسوة في الحب؛ حيث يقول القاضي الفاضل في قصيدة غزل عذري:

هذا عذاب لا يفتر بأقله قلبي تفطر
أفلا يفكر في المحب وما دهاه أفلا يفكر
ما كان يحذر ناله منكم وما لا كان يحذر
أفلا يرى في جنة في الوصل ذا المحروب يجبر
قذفوه في نسيانهم حتى ولا بالسوء يذكر
بأبي هلال من رآ هـ أفاد أجرا حين كبر
كم صام قلب عن ذنوب ثم لاح له فأفطر[8]

---

[1] الخريدة، ١/٣٥.
[2] ديوان القاضي الفاضل "نسخة فوتوغرافية بدار الكتب" وقد ذكر الناسخ في آخرها أنه كتبها من نسخة كتيره التصحيف.
[3] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ٤٩٣.
[4] عبد القادر بن عمر البغدادي ، حزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، القاهرة: مكتبة الخاتجي، ١٩٩٧م، ص٤٥٣.
[5] البغدادي، حزانة الأدب، ص٢٤١.
[6] المصدر نفسه، ص٢٤٢.
[7] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص٤٩٤.
[8] "الديوان ، ج١، ص ٤٠، ٤١

وبالنظر إلى هذه القصيدة نجد أنها جاء على خطى القدماء ، فهمي تمثل مقطوعة نشرية من روائع القاضي الفاضل؛ حيث يصور كيف تكون العواطف فاترة، والإيحاءات عادية لا عمق فيها، ولكنه غير رأيه في الأبيات الأخيرة والتي يقول فيها:

لطف النسيم فحل من أكمامه ما قد تزرر

النهر مزهو جلا هـ الزهر كالسيف المجوهر

حيث يظهر في آخر القصيدة العواطف الجياشة، والصور الخيالية العميقة دلالة وتأثيرا، بل وتظهر فيه بوضوح المرأة التي تمثل محور قصيدة الغزل العذري قائلا :

لثغور زهر أومضت وخدود ورد قد تحفر

ولكن بالنظر إلى هذه الأشعار بصورة أكثر ندها تعكس مرحلة تاريخية صعبة من حياة الإنسان العربي، على الجانب السياسي والثقافي؛ حيث تتأثر عواطف الفرد العربي بمثل هذه الأحداث تأثرا كبيرا في فترة من الفترات ، ثم تأتي هذه العواطف وتخبو، بل وتميل إلى البرود العاطفي، في حين لا يصور هذا البرود العاطفي انكفاء الإنسان، وتموت عواطفه كلية أمام المرأة بصفة خاصة والحياة بصفة عامة، ولهذا واجه القاضي الفاضل وتصدى لهذه الصعوبات فمثل ما يقول من أشعار؛ حيث قدم غزلا بنفس الطريق التي يبدو عليها الشطح، ولكن رغم هذه الطريقة التي عمل بها الفاضل وغيره من القدماء إلا أن هذه الطريقة استطاعت أن توصل الرسالة الأدبية والإنسانية التي أراد التي يوصلها الشاعر إلى الناس عامة؛ حيث تبدأ هذه الطريقة في قص عذاب القلب أي قلب المحب من كثر الحب، الأمر الذي يؤدي إلى معاناة المحب، ويصور الحب بها الكثير من المعاناة والعذاب وليس أمر هين، حيث يصير قلب المحب المحور الذي يدور حولها التأثر في هذه العلاقة التأثرية الإنسانية، ومن هنا نجد القاضي الفاضل يوجه اللوم إلى المحبوب، ويدعوه أنه يفكر كثيرا في حالته، فالمحب نال من العذاب ما كان يتوقعه، بل وأكثر من ذلك ، فالفاضل يعرف جيدا أن المحب يتألم ويتعذب من كثر الحب، ولهذا يوجه نداء إلى المحبوب، طالبا منه أن يفكر ويكتفي بأن المحب بتألم ويتعذب فكفى به من ذلك فيرفق به، كل ذلك عن طريق يطرحه الفاضل يدل على كيف كانت المحبوب سلبيا أمام عذاب المحب، وهو هنا يعبر بل وتعكس عن الحالة الصعبة التي ألت بالمحب العاشق ، بل وأيضا الموقف السلبي للمحبوب أو المحبوبة فهذا أمر يوضح مدى التناقض بين الطرفين؛ الطرف الذي يحب ويتألم بسبب الحب، والطرف الآخر الذي يبدو عليه القسوة أمام المحب، معبرا القاضي الفاضل من ذلك كله مدى التعبير عن النفس من خلال عاطفة اليأس والحرمان والبؤس والمكايدة والمعاندة ذات البعد الإنساني العميق بين الطرفين المحب والمحبوب.

- **محاولة الخروج عن سمات المحب العذري وكما هو معروف عنه أنه رغم المعاناة في الحب الذي يقاسيه من المحبوب** القاسي في حبه إلا أنه بمجرد رؤية المحبوبة يعود إليها ناسيا المعاناة وإذا فارقها اشتد وهج شوقه؛ ومن ذلك أن العاشق والحب رغم كل معاناته في الحب إلا أنه عاد مرة أخرى محادثا محبوبته، بل ويشبها لهلال رمضان قائلا:

بأبي هلال من رآ هـ أفاد أجرا حين كبير

أي حين شاهد المحبوب كبر فنال الأجر والثواب مثل الصائم الذي يصوم ولكن صوم العاشق صوم هش ضعيف، بمجرد أن يلوح له المحبوب يفطر أي ينسى كل المعاناة ويعود إلى حالة العشق التي كان فيها قبل ذلك، ولكن الفاضل أراد أن يجعل للمحب بعض المحاولات حتى لو كانت بجرة محاولة ولكنه حاول عكس عادة الشعراء العذريين حيث يقدم هنا صورة للعاشق الذي مل الوعود؛ حيث العمر يجري والموت يقترب قائلا له :

عجل فلي أجل وأنت به تجيء وما يؤخر

وكأن هذا القول هي محاولة من الفاضل أن يغير طبيعة المحب العذري حتى يتجاوز استحقاقات الزمن وفاعليته في الإنسان فالموت مهما طال الوقت قادم لا محالة فعلينا أن نغير طريقة العشق القاسي.

- **من سمات شعر الفاضل أنه ينقلنا إلى عوالم غريبة من التصوير** فالعقرب لديه من رموز الجمال على الخد؛ حيث يقول :

لست أدري عقارب الأصدقاء برحت أم عقارب الأعداء

قد بدت عقرب بخد حبيب فحكى القلب قلبها في السماء[1]

فهو هنا يتساءل في حيرة هل تغلبت عقارب الأصدقاء على عقارب الأعداء، حيث يصور لنا صورة غريبة، بأن يجعل لنا الأصدقاء مثل الأحباء وكأنهم عقارب فأنت لم تعلم مدى خطورتهم، عكس الأعداء الذين تحسب لهم ألف حساب ولهذا فخطورة الأصدقاء أكبر وأعظم، وهم كعقارب تمتلك خدا جميل كخد الحبيب الذي يحبه الشاعر، وهي صورة غريبة فالعقرب في المخزون العربي هي مكروهة ويرتبط بها الخيانة وعدم الحب ولكن يبدو أن القاضي الفاضل يعطي لها صورة أخرى غير المعتاد فهي تستخدم هنا كما وظفها الشاعر ، فهي عقرب من نوع خاص عقرب بخد حبيب فلفظ العقرب لفظة منفرة تنفر منها النفوس ولا تميل إليها فهي مرتبطة بالأذى، ولكن عقرب الفاضل بخد حبيب وأنسه ومن هنا جاءت تميل إليها[2] قائلا:

يا من على الخدين منه عقرب لا تضرب الخد وقلبي تضرب

ورغم سياق لفظة العقرب التي جاءت في السياق المحبوب إلا أن النقاد نظر إلى هذه النظرة المكروهة فجعل هذا البيت مكروه ، والصورة غريبة حيث العقرب مكروه[3].

---

[1] 'الديوان ، ج٢، ص ٢.

[2] *أبو عبد الله جمال الدين محمد، المعيار في نقد الأشعار، مصر: مطبعة الأمانة، ١٩٨٧م، ص ٢٧.

[3] عبد العزيز قليقة، النقد الأدبي في العصر الأيوبي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩١م، ص ٤٠٤.

- استعارات القاضي الفاضل تجاري أهل الأندلس في استعاراتهم، حيث استعاراته لم تخرج عن المألوف في الجمال والذوق، ومن هنا قدم الفاضل لمحات جمالية غاية في الروعة في وصفه للمحبوبة، وهي من ضرورات قصيدة الغزل، وهذه الصفات استمرت في العصور التي تلت الفاضل، حيث صور العقرب بالشيء الغير مستهجن بل المحبوب حيث جاء في شعر الأيوبيين:

لست عقارب خده قلبي لي رشفة من ريقه الدرياقِ
لعقرب الصدغ في الأحشاء ضربات وذي الذوائب فوق الخد حيات[1]

- يبدأ الفاضل قصيدته على عادة القدماء بالغزل بمظهر من مظاهر الشعر محاكاة للشعر الجاهلي[2]:

حيث مدح القاضي الفاضل كاتب وعالم ورئيس ديوان الإنشاء، فهي تصور مكانة العلم والعلماء، بل وتعطينا بعد عن حالة اجتماعية وثقافية في ذلك العصر وموقف الناس منها رغم مكانتها المرموقة في هذا المجتمع ، حيث كل عصر من العصور يسوده حساد وكارهي العلم والنور أصحاب الجهل الذين يدافعون عن اللاقيمة لتحقيق مآرب خاصة وليس عامة تفيد المجتمع على هذا النحو :

ويا من خسرت القلب إذا رمت وصله ويا ليت لو كانت سلامته ربحا
أطارحها شوقي فيثقل محملا فهل أتقى منها إذا ضعفت طرحا
نسيم رقيق مثل ريق رشفته وجدت لمسراه على كبدي نضجا[3]

فهو في هذه القصيد يمدح أبا الفتح ابن قادوس، فهو هنا يقوم بدور الناصح الذي يقوم بدور إيجابي حيث يمدح العاشق بضرورة استمرار العلاقة بينه وبين المحبوبة مقدما صورة مليء بالحب ودلائله والحكمة والوساطة والعقل بالإضافة إلى النصائح التي توجه، معبرة عن نصائح إنسانية عميقة الخبرة ووجهة النظر، مادحا أستاذه ومدربه مبينا مدى الوفاء بينهما ، ولهذا رسم صورة تبين مدى المكانة الاجتماعية التي كانت له ودوره الثقافي في هذا العصر قائلا:

أبا الفتح يا فتح كل غريبة وكم خاطر فتحته فأبي الفتحا
أبي صفو سيل أن يقر بذروة فبالله لا تحسد على الآجن السفا
ويا قسور الكتاب بدد صفوفهم إذا وشحت كفاك من قلم رمحا[4]

فهو كاتب كبير ومن أرباب القلم، وهو كالسيل المتدفق رغم ما يواجه من مشكلات وهو أسد الكتاب الذي تحول قلمه رمحا، وهو هنا يعطي لنا سمات وخصائص قصيدة المدح عنه ؛ حيث بيان كرم الممدوح وشجاعته، رؤية الممدوح في نظر الآخرين، تنحصر عداوة الممدوح من قبيل الغيرة والحسد، إضافة صفة جديدة على الممدوح وهي بيان دوره الثقافي والعلمي في المجتمع وليس فحسب صفة الفروسية والقيادة، الترتيب التقليدي للقصيدة الجاهلية المديحية البدء بالغزل ثم الحكمة ثم الدخول في الغرض، فالقاضي الفاضل يندمج مع ممدوحه لدرجة التماهي الذي يسجل لنا أمرا تاريخيا.

أما فخر الفاضل قدم فيها الفخر بأنواع مختلفة؛ حيث فخر بالقلم وبالعلم وبكتابة الرسائل ، والفخر بمعالي الأخلاق والكرم والشجاعة، بل ولم يتركه ذاته وجذوره، وأصوله ومقدرته في الفاعلية والحركة في الحياة على هذا النحو :

قضى نحبه الصوم بعد المطال وأطلق من قيد فتر الهلال
وسكران كرر من سكره زمان على كل عقل ممالي
بما في أسد الغياض وما في جفون ظباء الرمال
فدع ضيقة مثل شد الإسار إلى فرجة مثل حل العقال[5]

فهو يسرد الأصول التي اعتمد عليها في الفخر، فهو لا يسأل الآخرين ، بل الآخرون هم الذين يسألونه، وهذا راجع إلى أن القاضي الفاضل كان يمتلك المال لأنه كان يمارس التجارة ولا يعتمد على أدبه حيث كان هو صاحب فاضل على الناس ؛ حيث كان يعطيهم من ماله ؛ حيث كان دخله السنوي خمسين ألف مثقال من الذهب، بالإضافة إلى أموال التجارة ، حيث يتجه إلى الهند والغرب فكانت تجارته كبيرة[6].

بل ويفخر أيضا بأصوله وجذوره ، فهي قمة في الأصل والقمة والشرف تعادل السحاب، فهي عربي لخمي، ويتدرج في الفخر مادحا كتبه التي تمثل الماء الزلال الذي يملأ أرجاء الأرض، وهي سباق أكثر من الرماح والسيوف لتقضي على العدو، أشاد بذلك صلاح الدين ؛ حيث قال لقد فتحت البلاد بقلم الفاضل .

آثاره الأدبية:

كتب القاضي الفاضل في النثر والشعر والنقد، وبالنظر إلى الدراسات الحديثة التي درست أشعار الدول المتتابعة، أو شعر الحروب الصليبية لوحظ أنه هناك نوعا من الإهمال في أشعار القاضي الفاضل، حيث كان أغلب تركيز هذه الدراسات على نثر القاضي الفاضل لا شعره؛ حيث لم وجدت دراسة لم تذكر بيتا شعريا واحدا للقاضي الفاضل[7]، وذلك ربما أن القاضي الفاضل لم يذكر بشكل مباشر الحروب الصليبية في

[1] عبد الحسنين الخضر، الشعراء الأيوبيون. دمشق: مطبعة عكرمة، ١٩٩٣م، ص ١٢٤.
[2] محمود السرطاوي، نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، عمان، دار البشير، ١٩٩٠م، ص٢٤٠
[3] الديوان، ج ١، ص ١٧٤ - ١٨٠.
[4] 'الديوان، ج ١، ص ١٨١.
[5] الديوان ج١، ص ٣٤٢.
[6] السبكي، طبقات الشافعية، ص ٢٥٣، ٢٥٤.
[7] عبد الجليل عبد المهدي، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، عمان، دار البشير، ١٩٩٥م، ص ٣٣٢.

شعره، وذكرها في نثره، لكن شعره فيه إشارات وأبيات كثيرة تتحدث عن المعركة مع الصليبين، في غير موقعة، وهناك دراسة لا تقل عن السابقة؛ حيث تناولت أدب الحروب الصليبية، فلم تذكر شعرا للقاضي الفاضل، رغم أنها تناولت أشعارا كثيرة لعدد كبير من الشعراء، وعندما وصلت إلى القاضي الفاضل استشهدت بنثره لا شعره بل وحللت نثره تحليلا أدبيا ونقديا[1]، ثم تأتي الدراسة الثالثة والتي وتؤكد على هذا الإهمال الذي يبدو متعمدا لشعر القاضي الفاضل؛ حيث ذكرت أشعارا كثيرة لعدد من شعراء الحروب الصليبية وتجاهلت لشعر القاضي الفاضل وذلك كما تدعي هذه الدراسة أن القاضي الفاضل هو أديب عرف بغير الشعر وغلبت عليه الكتابة لا الشعر[2]، حيث كتب الرسائل الديوانية والإخوانية وضمنها موضوعات مختلفة فالديوانية تناولت أغراضا كثيرة[3] كالمناشير والعهود والتقاليد والتواقيع والرسائل الوحدة الإسلامية ورسائل الحروب الصليبية وهي على أربع أضرب رسائل الجهاد و رسائل التهنئة بالفتوح ورسائل الاستنجاد وأخيرا رسائل السلم والمعاهدات .

أما الرسائل الإخوانية[4] فهي رسائل ذاتية كالتهاني والتعازي والتشوق والشكر واللوم ... إلخ ورسائل موضوعية كالشفاعات والحوائج والوصف والمدح ... إلخ.

والشعر نظمه وكتب في الموشحات وجاء شعره على أغراض كثيرة ؛ حيث كان القاضي الفاضل شاعرا وله ديوان شعري تناول فيه أغراض شتى كالغزل والفخر والرثاء والوصف والخمرة والحكمة والمدح والعتاب والهجاء والشيب والشوق والاعتذار إضافة إلى قليلا من الموشحات وشعره يمتاز بحس أخلاقي خالد يعكس نفسا إنسانية ذات تجربة عميقة[5].

- القدماء وشعره:

لقد أنكر فريق من القدماء شعر القاضي الفاضل حيث يقول عبد القادر الذهبي ت ٩٨٧ هـ، كما قال ابن كثير ت ٧٧٣هـ : (والعجب أن القاضي الفاضل مع براعته وفصاحته التي لا يدانى فيها لا يعرف له قصيدة طويلة طنانة وإنما له ما بين البيت والبيتين والثلاثة في أثناء الرسائل وغيرها) [6].

والناظر إلى هذه القول يجد فيها ظلما تاريخيا للقاضي الفاضل؛ حيث حقق الدكتور أحمد أحمد بدوي ديوانه المكون من جزئين، والذي يحوي قصائد طويلة كثيرة وصلت إلى سبع عشرة قصيدة، مطولة وفي مختلف الأغراض، وتراوحت بين خمسا وثلاثين بيتا وثلاث وتسعين بيتا، قام الباحث بإحصائها بل وترك ما هو أقل من تلك القصائد، وهو كثير، بل ويوجد في الديوان مقطوعات كثيرة صغيرة ، تحتوي على البيت والبيتين كل ذلك ويأتي الذي يلغي دوره الشعري أو يتجاهل هذا الدور حيث يقول القاضي في الحكمة :

ولم أر قرنا يعجز الدهر حربه سوى الشعر، إن الشعر يبقى على الدهر

تنير جميع الزهر ليلا وتنطفي مع الفجر إلا أنجم الشعر في الفخر[7]

وهنا يرى القاضي الفاضل أنه لا يستطيع شيء محاربة الأيام والدهر، فالدهر يقضي على كل شيء ، لكنه لا يستطيع الوقوف أما الشعر، فالشعر يتغلب على الدهر ويقضي عليه ويبقى على الدهر؛ حيث يظل شامخا مفتخر بنفسه فكل الزهر تنير ليلا وعندما يأتي الفجر تنطفئ إلا نجوم الشعر تستمر ولا تنطفئ.

ويقول ابن الحجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) حول نظمه:

(كان نظم القاضي الحموي ونثره كفرسي رهان ولكن نشره أكثر مما نظمه)[8].

ويرى الباحث من كلام ابن الحجة أن شعر الفاضل لم يرق إلى مستوى نثره وإن كان الشعر شيئا والنثر شيء آخر، فهو هنا يظلم القاضي الفاضل حيث يختلف الشعر عن النثر في المكونات والبناء بل وكل من النثر والشعر له إحساسه الخاص الذي كان يمتلكه القاضي الفاضل رغم اختلاف التكوين بين الشعر والنثر.

---

[1] عمر عبد الرحمن الساريسي، نصوص من أدب الحروب الصلبية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٤م.، ص ١٨١.

[2] عمر الأسعد، نصوص من شعر عصور الدول المتتابعة، الأردن: مكتبة المنارة ، ١٩٨٨م، ص ٨.

[3] المصدر السابق ، ص ٣٤.

[4] المصدر السابق ، ص٥٤.

[5] خالد سليمان عيد الدولات، شعر القاضي الفاضل دراسة نصية، رسالة دكتوراه، الأردن، ٢٠٠٥، ص ٢٣.

[6] عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١، ١/٦٧.

[7] عبد الرحيم بن علي البيساني القاضي الفاضل، ديوان القاضي الفاضل، تحقيق أحمد أحمد بدوي، القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦١م، ص ٤٦٨.

[8] ابن حجة الحموي، أبو بكر بن محمد، ثمرات الأوراق، صححه: أبو الفضل إبراهيم، ط١، مصر: مكتبة الخانجي،١٩٧١م، ص ١٣٣.

المطلب الثاني: آراء النقاد في أسلوبه وبنائه الفني:

لقد كان الفاضل مكثر في الشعر وقد خلف ديوان من الشعر، وتميز شعره بفصاحة الألفاظ وسهولة التركيب مع المتانة، واضح المعاني، وكان جل شعره في المدح والغزل والفخر، كما نظم القاضي الفاضل في فنون أخرى كالوصف والخمر غير أنه لم يتسع فيها كالمدح والغزل[1].

ومن شعره في الوصف مثلا قوله في الفرش والأرائك والمساندة:

سباط يرى التيجان تهوى للثمة فما هو إلا قبلة من مقبل
إذا نشرت من نقشه لك روضة ركضة بدا فوقها من كفه لك جدول
وأفضل أجزاء الجسوم رؤوسها وأرجلها في وطء بسطك أفضل[2]

وقال في وصف الخمر:

لها منن تصف على الشرب أربع وواحد لولا سماحتها تكفي
سرور إلى قلب وبتر إلى يد ونور إلى عين وعطر إلى أنف
ولما رأينا ياسمين حبا بها مددنا يمين القطف قيل يد الرشف[3]

ومن بين الخصائص التي تميز بها غزل القاضي الفاضل توظيف وابتكار بعض الصور في شعره مثل صور الحية والعقرب التي لا يسأم من ترديدها[4]. ومن أمثلة ذلك قوله:

لم أخف حية على الخد تسعى لا ولا عقربا عليه يدب
مت ضيفا في الرق رق خليلي مطلته بالورود والورود نهب

ومن الصور التي أولها فيها القاضي الفاضل في غزله قصة آدم وهبوطه من الجنة مثل قوله:

يا من سفكت دموعي له والنفس في الزفرات قيدت نفس
عاهدتم وتناسيتم عهودكم فالله عاهد قدم أدمى فنسي[5]

أما مدحه فكان في الصفات العامة الشائعة من كرم وحلم وعلم وشجاعة وتقوى وحسن تدبير وعقل ومن الأبيات التي نظمها في باب المدح: قال يمدح السلطان صلح الدين في معركة حطين:

تلك المكارم لا قعبان من لبن وذلك الفتح لا عمان واليمن [6]

وقال أيضا في مدحه لصلاح الدين ومواسيا له على حصار عكا:

نحن الذين علو لم يبطروا يوم الهياج وإن علوا لم يبطروا[7]

وقال أيضا:

فإن ذنبي أن أحسن مطلبي إساءة ففي سوء القضاء لي العذر[8]

كما نظم القاضي الفاضل أبياتا من الشعر ليعبر عن أشواقه وحنينه مثل الأبيات التي نظمها ليعبر عن شوقه إلى مصر والنيل عندما وصل إلى الفرات في خدمة السلطان صلاح الدين قال:

بالله قل لليل عني أتتني لم أشف من ماء الفرات غليلا
ونيل الفؤاد فإنه لي شاهد أن كان جفني بالدموع بخيلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينة وأعيذ صبرك أن يكون جميلا[9]

وقال أيضا في تشوقه إلى بعض إخوانه وأصحابه:

فيا رب أن البين أضحت صروفه علي ومالي من معين فكن معي
على قرب عد إلى وبعد أحبتي وأمواه أجفاني ونيران أضلعي

وقال أيضا:

لو زارني منك خيال هاجر لهدته في ظلمائه أنوارها
والله ما نسيت نفسي حلاوتها فكيف أذكر أني اليوم أذكرها؟[10]

---

[1] عمر فروخ، الأدب العربي في المشرق، دار العلم، بيروت، د.ت، ص٤١١.
[2] هادية راغب دجاني القاضي الفاضل عبد الرحيم، رسالة قدمت إلى الدائرة العربية للحصول على درجة أستاذ علوم، بيروت: الجامعة الأمريكية، ١٩٦١م، ص ١١٧.
[3] الصفدي، ١٨/٢٢١.
[4] دجاني، القاضي الفاضل عبد الرحيم، ص ١١٨.
[5] رجاني ، القاضي الفاضل عبد الرحيم ، ص ١١٨ - ١٩٩.
[6] أبو شامة، الروضتين، ٣/٣٠٠.
[7] أبو شامة، الروضتين، ٤/١٠٣.
[8] النويري، نهاية الأرب، ٨/١٨.
[9] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ١٦٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٨/٢١٩.
[10] القلقشندي، صبح الأعشى، ١/٢٧٤.

ويعتبر القاضي الفاضل أول من أظهر التورية في الشعر[1] وفي توريته قال:

فيا ليل أن توليفها يدا تجدني لها ذاكرا شاكرا

وأن قلت نعرفه كافرا أقل لا ولكم نعم فاجرا

وقد استخدم كلمة كافرا على سبيل التورية في الحكم ضد الإيمان والكفر بمعنى الستر وفي كلمة كافر تورية فالمعنى القريب مأخوذ من الفجور والانبعاث في المعاصي[2].

كما وصف القاضي الفاضل في شعره معاني مستمدة من ثقافته الأصلية وأكثر شيء تأثر به القاضي الفاضل هو القرآن الكريم ومن بعض تأثره بالقرآن:

إذا زلزلت بالعادات منازل لا هجنكم صبحا ولا رعنكم ضبحا

استمده من قوله تعالى من سورة العاديات[3]:

- كما اشتهر القاضي الفاضل باعتنائه بالجناس والطباق ومراعاة النظير فمن جناسه قوله:

من أين أنت ومن يدرك من أنا الجد خلقي من أخلاقك العبث

ما جئت مبعوثة بل جئت باعثة همي ولا خاطر طرفي في الهم منبعث

حيث حاول الفاضل أن يجانس جناس اشتياق بين مبعوثة وباعثة وكلمة البعث وقوله:

لم يطمع الليل مني أن أرق له ينسى جناياته الناسي على الناس

حيث جانس بين كلمتي ناسي والناس جناسا تاما[4]

وقيل: إن العزيز هوى قنية شغلت عن مصالحه فأمره أبوه بتركها فشق ذلك عليه ضاق صدره ولم يجتمع به فسيرت له مع بعض الخدم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زر ذهب فلم يعرف المعنى وعرف القاضي الفاضل المعنى فنظم بيتين[5]: وأرسلها إليه قال:

أهدت لك العنبر في وسطه زر من التبر خفي اللحم

فالزر في العنبر في معناها زر هكذا متخفيا في الظلام[6]

وهذا يدل على قدرة القاضي الفاضل في فهم المعاني ونظمها في شكل الشعر وهذا يسمى التلاعب بالألفاظ والمعاني:

وقد برع القاضي الفاضل أيضا فيما يعرف بالموشحات وقد كانت له موشحة وهي:

من لي بدر كله قد جار قلبي كله

فهل ترى نتعزز والعزى في الحب ذلة

قد جدد الله سعدا للملك من آل سعد

بأنفس الخلق تفدي وأن أبوى كنت وحدي

سيوفه ليس تصدى ولا تقر يغمد[7]

ويرى الباحث أنه يفهم من هذه النصوص ومن القراءة في أبيات القاضي الفاضل يستنتج بأنه برع في الشعر كما برع في النثر حيث استطاع أن يجاري التطورات الحادثة في عصره من خلال اهتمامه بالمحسنات البديعية والجناس وهي السمة البارزة التي طغت على الشعر في هذا العصر وهي التنميق اللفظي وقد استطاع أن يوظفها في شعره أحسن توظيف ليس بنفس درجة النثر ويشهد للقاضي الفاضل أنه أول من أدخل التورية في الشعر، وأيضا غلب موروثه الثقافي والحضاري والديني على كتاباته سواء على مستوى الشعر والنثر وذلك من خلال توظيفه آيات القرآن في شعره وهذا يدل على مقدرته الأدبية

وتحكمه في الألفاظ.

المبحث الثاني: شعره في النقد الحديث، ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: آراء النقاد المحدثين في موضوعه الشعري:

تعددت الآراء حول موضوع القاضي الفاضل الشعري، وذلك من خلال الآراء الآتية في شعره:

- (أن القاضي الفاضل له مائتين وخمسون ألف بيت من الشعر) [8].

- (أن شعره على أنها قطرة من بحر زاخر ولمعة من معترض برق ما له من آخر ولو دون نظمه وجمع لكان أجزاء كثيرة في سائر الأفانين ولقيل لمجموعه: هذا ديوان بل مجموعة دواوين) [9].

---

[1] محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس، أبو البركات، بدائع الزهور ووقائع الدهور، د.م: مطابع الشعر، ١٩٦٠م، ٦٠/١.

[2] دجاني، القاضي الفاضل، ص ١٢٧.

[3] دجاني، القاضي الفاضل، ص ١٢٢.

[4] دجاني ، القاضي الفاضل، ص١٢٩.

[5] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ١٣١، الصفدي، الوافي، ١٨/٢١١.

[6] المصدر السابق.

[7] الصفدي، الوافي، ١٨/٢٣٠

[8] الأدب في العصر الأيوبي ص ١٩٨.

[9] الأدب في العصر الأيوبي ص ١٢٦.

- (أن معاني الفاضل هي التي ترقص لها القلوب وتطرب لها الألباب ويهجم قبوله على النفوس من غير ولا بواب)[1].
- (أن القاضي الفاضل كان له نظم لكنه لم يرق إلى مرتبة رسائله) [2].
- (القاضي الفاضل له ديوان شعر وشعره ضعيف لا قيمة له على الإطلاق) [3]. وهو حكم سريع مجانب لتأني والتروي والإنصاف.
- (إن من يرجع إلى ديوان القاضي الفاضل لا يجد فيه إلى شاعرا من الطبقة الثانية، ومن الصعب أن نقرنه بالشعراء الممتازين في العصر الفاطمي لا من حيث روحه وقلة الدعابة عنده بل من حيث شعره العام إذا نرى فيه أثار التكلف والتلفيق واضحة وكان يتصنع الجناس كثيرا كما كان يتصنع لضروب الطباق والتصوير الأخرى من تصوير وأيا كان فشعر القاضي الفاضل واضح فيه التكلف والتصنع لألوان البديع ومصطلحات العلوم وهو شعر في الجملة مصنوع وقلما نجد فيه شعورا أو جمالا)[4].
- (كان من حق القاضي الفاضل علينا ألا ندخله مع شعراء عصره لقصوره عن اللحاق بهم في مضمار فنهم ولكن ما حيلتنا إن كان القدماء من البلاغيين جعلوا له مذهبا سار على نهجه الشعراء الذين كانوا حوله فأنا نجد قصائد ومقطوعات تظهر تكلفه وبعده عن الطبع فحرصه على التلاعب بالزينة كان أكثر من حرصه على تصوير عواطفه وأهوائه) [5].
- (كان القاضي الفاضل مكثر من الشعر والنثر وقد بلغ فيهما من الشعر وقد بلغ فيهما ذروة التكلف والصناعة المعنوية والصناعة اللفظية ثم صرف جميع اهتمامه إلى تحسين الأسلوب والتلاعب بالمعاني والألفاظ والاستطراد من معنى إلى آخر عن طريق التعبير البلاغي أما شعره فيما عدا ذلك فهو فصيح الألفاظ سهل التراكيب مع المتانة واضح المعاني وله مدح جيد ووفخر وغزل وإخوانيات) [6].
- (إذا كنت أنت من الذين يحبون التلاعب بالألفاظ والتراكيب كان القاضي عندك سيد الناظمين أما إذا كانت من الذين يقدرون قيمة الفكر المبدع في الأدب والتعبير المنطقي في الأسلوب كان أثر ما أنتجه القاضي الفاضل من شعر لغوا أو قريبا من اللغو)[7].
- (وإذا رأينا أن شعراء أمثال القاضي الفاضل وابن سناء الملك وابن مطروح والبهاء زهير قد شغلوا بالزخرف اللفظي والتوليد العقلي العقيم وإن الصلة كانت تنقطع ما بينهم وبين حياة الجماهير وكادت تنقطع ما بينهم وبين جيشان العاطفة وعمق الإحسان ونفاذ البصيرة وروعة الاستكشاف النفسي
الجمالي) [8] .
- (إنما هان الشعر على الناس هذا الهوان لعجمة ألسنتهم واختلال طباعهم فغابت عنهم أسرار الكلام وبدائعه المحركة جملة فصرفوا النقص إلى الصنعة والنقص بالحقيقة راجع إليهم وموجود فيهم ولأن طرق الكلام اشتبهت عليهم أيضا)[9].
- (لقد عرف القاضي بمهارته في فن الكتابة، دون فن الشعر، فإنا نجد له قصائد ومقطوعات، تظهر تكلفه وبعده عن الطبع، فحرصه على التلاعب بالزينة البديعية كان أكثر من حرصه على تصوير عواطفه وأهوائه، ومع ذلك كله فإنا نرى له بعض مقطوعات لا نشك في صدورها من فنان ماهر في صناعة الشعر)[10].

ومن الواضح هنا أن هذا الكلام فيه اعتراف للقاضي الفاضل بمقدرته على الشعر، وفنه الذي جاء من طرف فنان ماهر، يعرف جمال التعبير من خلال سبك اللفظ الجميل وتحميله المعنى الواسع المعبر.

والقاضي الفاضل من رواد تطور مدرسة التورية في القرنين السادس والسابع الهجريين، ويعد من أعلام الكتاب الذين كانوا شعراء محيدين[11]، وإذا غمز في شعره واتهم بالضعف أو قلة الروح فيها كما قال بعضهم أو أنه لم يذكر أو يصور الحروب الصليبية، كما قال آخرون، فالقاضي الفاضل تناول المعركة في مواضع كثيرة ولكن بشكل أقل تفصيلا كما في الرسائل ، وهذا يعني أنه شارك الآخرين، ولم يتأخر عن الركب ، فالرجل يؤمن بخلود الشعر، فهو يعتبر الشعر فنا جميلا وخالدا يجب أن ينقل مشاعر الإنسان وتجاربه لا معاركه وحروبه، فرجل تناول مقاومة الاحتلال نثرا، ونجح في ذلك وترك الشعر للشعر، للفن للجمال، لحياة الإنسان وتجاربه الإنسانية ومعاناته، وما تركيزه على حشد كم هائل، من الأسماء والرموز الإنسانية، في شعره إلا دليل وعي عميق للتجربة الإنسانية على هذه الأرض، والتي مازال عليها ما يستحق الحياة[12].

- وكان القاضي الفاضل يؤمن بمجد الشعر، وخلود ويرى الدهر عاجزا عن القضاء عليه، وعد الفاضل من مفاخره، أنه ذو شعر خالد على مر الزمن[13].

---

[1] النويري، صبح الأعشى ٢/ ١٩٨.
[2] الأدب في العصر الأيوبي ص ٢٠٧، ٢٠٨.
[3] محمد سيد كيلاني، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي، القاهرة: نهضة مصر، ١٩٤٩م. ١٦٣.
[4] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص٤٩٢ - ٤٩٣.
[5] محمد كامل حسين ، دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، د.م: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م، ص٢١٢.
[6] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ١٩٨١م، ٢/ ٤١١
[7] المرجع السابق، ص ٤١٢ .
[8] عبد العزيز الأهواني، ابن سناء الملك، جروس برس، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦، ص ١١.
[9] حازم بن محمد بن حسن، أبو الحسن، منهاج البلغاء، د.م: دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦م، ص ١٢٤ -١٢٥.
[10] محمد كامل حسين، دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، دار الفكر العربي، ١٩٥٧م، ص ٢١٢.
[11] عمر موسى باشا، الأدب في بلاد الشام، في عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، دمشق: المكتبة العباسية، ط١٩٧٣،٢م، ص٤٠٢.
[12] المصدر نفسه ، ص ٦٥٧.
[13] أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية، د.م: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩ ص ٣٥٩.

وشعره يمتاز كما يمتاز نثره، يحب الصناعة اللفظية، فهو لا يكاد يتركها ، إذا تأتى له استخدامها، ولهذه الناحية من خصائص شعره، أعجب رجال الصناعة به ، ومثلوا الكثير من ألوانها بشعره مسجلين له أعظم تقدير وإعجاب، أما الذين لا تعنيهم هذه الصناعة، فلا يرتفعون في تقدير شعره إلى هذا المستوى من التقدير ، حيث كان لعصره أثر كبير في شعره، وإذا كان هذا الشعر الذي بين أيدينا لا يتحدث إلا قليلا عن الحروب الصليبية، التي دارت في عهد صلاح الدين وكان الفاضل وزيره، فريما تحدث عنها فيما ضاع من شعره[1]، بالإضافة إلى مخالطته للكتاب من جميع الأصقاع، أو كان أشبع تلك الرغبة، فيما كتب من رسائل كانت لها قيمة كبيرة في عصره، لأن رسائله أتت على كل ما يدور بخلده تجاه هذه الحرب الظالمة، والاحتلال لأرض أمة العرب والمسلمين في تلك الفترة التاريخية من تاريخ المنطقة والعالم بذلك ترك الشعر لأغراض إنسانية وحياتية أخرى[2].

ويرى الباحث أن المتتبع لشعر القاضي والباحث فيه يجد أنه اهتم أيما اهتمام بالصنعة وديوانه لا يخلو من القصائد التي بان عليه التكلف في الصياغة وذلك كون الشاعر قد قصد قصده وأصبح البديع دليلا على بلاغة الأديب وشعرية الشاعر والإتيان بالبديع مهما كان نوعه تكلف ولكن الشعراء يختلفون في هذا بحسب طاقاتهم الشعرية وأذواقهم الأدبية .

فإكثار القاضي الفاضل منه كان مقصودا لذاته لأنه دليل الشاعرية والتمكن والاقتدار فذلك نجد شعراء العصر الأيوبي بما فيهم عميدهم ورأس مدرستهم القاضي قد سار على نفس الطريق وأصبح هو يمثل المذهب بعينه مما حدا بالشعراء الآخرين أن يقتفوا آثاره في طريق الصنعة ويبدو أن البديع بمعناه الواسع كان معروفا عن العربي والشعراء خاصة ولهذا قال الجاحظ: والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل إنسان[3].

بل وذكر عددا من الشعراء ممن أكثر منه كالراعي في العصر الأموي وبشار والعتابي في العصر العباسي إن ظهور البديع وإقبال الشعراء عليه كان مرتبطا بعوامل الحضارة وتقدم الزمن فكان مصاحبا لما انتشر وتعمق من وسائلها كالأطعمة والعمران والألبسة ولهذا فقد أخذ في الانتشار في العصر العباسي منذ بشار حتى وإذا جاء مسلم وأولع فيه وقالوا أنه أفسد به الشعر ثن أعقبه أبو تمام فألقى بثقله اللغوي والفني عليه وجاء بالشيء الكثير منه وما كان القرن الرابع الهجري يطلع حتى أولع به الشعراء أو الكتاب وأصبح وكدهم وهجيرهم ثم جعله من جعل بعد هذا القرن الغاية التي يرجون والهدف الذي يسعون إليه فثقل نتاجاتهم الشعرية والنثرية وكان القاضي الفاضل إمام مدرسة خاصة لهذا اللون الذي عرف فيه بنشره وشعره ولم تكن صناعة القاضي سمجة عقيمة لا حياة فيها وإنما كان كالوشي يزيد الشعر تألقا وتأنقا والدليل على هذا أن هناك غير واحد ممن تحدث عن البديع في عصره قد تمثل بشيء غير قليل من شعره البديعي هذا .

وعلى الرغم من إكثاره البديع وتصيده له إلا أن هذا لم يؤثر على أن تنطوي أشعاره على معالجة الأحاسيس الصادقة والعواطف الثائرة نعم أنه غلفها بما حسن من ألوان البديع وجهد في صياغتها صياغة فنية .

ومجتمع القاضي يستسيغ هذا اللون من البديع ويلذ ولو لم يكن كذلك لما أقبل أبناؤه على الإصغاء إليه وإلى استظهاره والإعجاب به وبقائله والأدب وليد البيئة محاك لما فيها من وسائل وحاجات ولعل هذا هو الدافع الحقيقي لإكثار الشعراء من ألوان البديع والإغراق فيه فصنعة القاضي كانت إذن وليدة التطور الحضاري ورغبة الناس وهيولهم إلى هذا النوع من الأدب الذي يمكن أن يحسب نوعا من تطوير الشعر أو تجديده أما الإكثار من ألوان البديع في هذا العصر ومنهم القاضي الفاضل فهو لا يمكن أن يكون في منأى عن التكلف والثقل في بعض جوانبه غير أن ما جاء به القاضي الفاضل لم يكن كما ذهب إليه بعض الأدباء كله ثقيلا متكلفا وإنما هو يحتوي على كثير من أمارات الطبع والاقتدار حتى ليمكن الزعم بأنه لا يقل عن شعر أولئك الكبار المولعين بهذا اللون من الأدب البديعي .

- **ابرز موضوعاته الشعريه .**

1- **المدح** : وأول ما يلفت النظر من موضوعاته هو المديح من حيث الكثرة في عدد القصائد والمقطوعات ؛ حيث بلغ مجموع الأبيات التي قالها في هذا الموضوع ستة وثلاثين وتسعمائة وألف بيت من الشعر وجاء في الديوان بالترتيب بعد الغزل فقد كان مكثرا من الكتابة في هذا الفن وخاص به ما كانت لهم علاقة به يستحقه الثناء وتوزعت أماديحه على الذين كان لهم الفضل عليه وما أسبغه عليه من نعمة وفضل وعاش في كنفهم معززا مكرما وهم على الأغلب خلفاء وسلاطين ووزراء ورجال من علية القوم الذين كانت له صلة بهم من كتاب وقواد وأصدقاء بحكم ما يشغله من مناصب وقتها [4].

ومن قصائده التي بلغت ٧٢ بيتا قالها لوزير يعاتبه مخاطبا إياه بلفظ المذكر منها:

وحوشي أن يقال لها عتابي ومن ذا يسمع الصم الدعاء
وهبك نسيت كل يد لقصدي على العليا فهل تنسى الثناء

ثم يصل إلى الغرض الأساس بعد مقدمة من ١٦ بيتا واصفا إياه بأفضل الصفات معتمدة على صورة قديمة موظفة مثل التشبيه وأيضا يتناول في قصيدته أبيات للحكمة قائلا:

ولو سقط التفاضل في عقول لكان الناس كلهم سواء
دع الكذابين في قول وفعل فإن الرأي ما سكن الرواء[5]

[1] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط٢٤، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة، ص ٢٤٨.
[2] ديوان القاضي الفاضل ، ج١ ، ص د.
[3] الجاحظ ، البيان والتبين، ص ٥٥ ـ ٥٦.
[4] الدولات، شعر القاضي الفاضل دراسة نصية ، ص٧١.
[5] الدولات، شعر القاضي الفاضل دراسة نصية ، ص ٧٣.

2- **الغزل :** اهتم به القاضي الفاضل حتى أصبح من الأغراض المهمة في قصائده ولم يكن غزله في مستوى المجون والرذيلة والتهتك رغم أنه يوجد في ديوانه قصائد غزل بلفظ المذكر الذي من دواعيه احتجاب المرأة التي هي العنصر الأساسي في قوله[1]، بل لعل خفة مخاطبة المذكر أسهل وأخف من مخاطبة المؤنث[2] فكان من ذوي الوقار والالتزام والتقوى فلم ينغمر في غمار تيار الملذات بل عبر في قصائده عن عواطفه النبيلة الصادقة وحبه العفيف فهو لم يذكر اسم امرأة حقيقية أو مجاز على عادة الشعراء الغزليين فغزله يحكي عن الهجر وعدم الوصال، ومن صور غزله صورة العذول فقد أشبعه وصفا قائلا :

ولم تنكر الشكوى وأمر مريضها إليك فلا تبخل وحاشاك بالطب
جرى الدم دمعا في حروب بني الهوى ويكفي الدم الجاري دليلا على الحب[3]

3- **الفخر :** الفاضل في حديثه عن الفخر لا يكتفي بموضوع واحد، بل يتحدث عن عدة موضوعات في قصائده الفخرية، حيث يفتخر فيها بالأمور العالية والرفيعة التي تمنح صاحبها المجد والعز، ويتحدث أيضا عن كيفية الوصول إليها والمقدرة التي يستطيع من خلالها تجاوز حالة الفقر والعوز والخنوع، بل يتطرق إلى الفضائل والأهداف التي يسعى الإنسان إليها في الحياة فالفاضل يفخر بكل شيء يوصل إلى العلياء والمجد ويتجاوز الفقر والتنازل والضعف ، فإذا كان الشعر وسيلة لهذا فلماذا لا يفخر به نفسه قائلا:

وبالأشعار تعرف قائليها كما حدثت عن نجر بنجرٍ
سبقت بها، فقد صارت لقوم محارب والذي بعدي مصل[4]

4- **الاعتذار :** إن اعتذار القاضي الفاضل قليل، حيث بالنظر إلى ديوانه لم نعثر على اعتذاره إلا في غاية القلة، وذلك في نص يحتوي على خمسة أبيات، حيث يندر في الديوان ندرة غريب تكاد لا توجد فيها إلا هذه الأبيات على الإطلاق رغم كثرة موضوعات الاعتذار عامة ؛ حيث هناك اعتذار للمحبوب أو الأهل أو للقبيلة أو للحاكم أو للتقصير عامة في أي أمر حدث ، فبالنظر إلى ديوان القاضي الفاضل نجده في الجانب الخاص بالاعتذار يعتذر في هذه الأبيات الضحلة إلى المحبوبة ولكن اعتذاره يتميز بلغة الكتابة والكتاب التي تختلف عن لغة الشعر التي تحمل من الدلالات الكثيرة؛ حيث يقول في خمسة أبيات فقط للاعتذار في ديوانه:

لا تحسبني للعهود مضيا حفظي لودك مذهب لا يذهب
عفت الترسل طامعا أن نلتقي فأبى الزمان يبيح لي ما أطلب
وتأخرت كتبي فقلت : أعاتب في ذاك أنت علي أم متعتب
لا عتب أخشاه لقطع كتابكم واسمع، فعذري بعده لا يعتب
مهما وجدتك في الضمير ممثلا أبدا تناجيني إلى من أكتب[5]

المطلب الثاني: آراء النقاد المحدثين في أسلوبه وبنائه الفني.

لم يترك القاضي الفاضل غرضا من الأغراض التي طرقها إلا وقد نظم فيه على الطويل وجاء هذا الوزن ملائما لذلك الغرض ومتواشجا معه كأنه يحاكيه ويتلون معه باللون المناسب.

البناء الصوتي لشعر القاضي الفاضل يحاكي المعاني الشعرية التي انطوى عليها فوقع حروف ألفاظه المتكررة وجرس أصواته يعادل تعبير النظام التعبيري أو المضمون فمثلا قوله:

باح الهوى بك واستراحا وأباحنا لك واستباحا
كم قرة في نظرة ملأت جوارحنا جراحا [6]

أول ما يصلنا من نغم حروف هذه المقطوعة هو جرس حرف الحاء والحاء من الأحرف الهموسة فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه[7].

يمثل تكرار اللفظة في شعر القاضي الفاضل بارزة تكاد تشكل لمحة بارزة لشعره ولعل هناك أسباب كثيرة دفعته استعذابه لجرس حروفه فهو يكررها للتشوق إليها والتلذذ بها ولعل ابن رشيق قد أشار إلى هذه الغاية حين تكلم عن التكرار الذي يحصل في الشعر قائلا: ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة التشوق والاستعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب[8]. وكان يلذ للقاضي الفاضل أن يكرر الألفاظ لأنه لا يجد في تلفظها حلاوة كقوله في موضوع الغزل:

ومن عجب إني أحن إليهم وأسأل عنهم من أرى وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي[9]

---

[1] الأدب في العصر الأيوبي، ص ٢٣٩.
[2] نجيب محمد، تاريخ الشعر العربي، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠، ٣/١٧٢.
[3] الديوان، ص ١٩.
[4] الديوان : 342/2
[5] الديوان :2 /517
[6] الديوان، ص ٤٥
[7] سيبويه: الكتاب، ٤ / ٤٣٤
[8] الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، بيروت: دار الجيل، ١٩٨١م، ٢/٧٣.
[9] الديوان، ص ٦٠٥

فلفظة هم ألحت على الشاعر بالظهور لقيمتها التعبيرية فأشاعت جوا نغميا وعملت على تقوية الرنة النغمية فالشاعر يصرح أنه يحن إليهم ويسأل عنهم وتطلبهم عينه ويشتاق لهم قلبه وربما يأتي التكرار للتوجع والتأسي لذكرها وخاصة في الرثاء فمثلا قوله :

تبكي عليك عيون أنت قرتها وما بكى الحق باكي البحر بالخلج

في كل شدة دهر لم تزل فرجا فأعظم الله أجر الناس في الفرج[1]

وهذه الأبيات من مقطوعة رثاء الشاعر لرجل عزيز عليه غيبه التراب عنه فترك موته فاجعة على نفس الشاعر وحرجا في أمره فكان التفجع والتوجع يفرض على الشاعر أن يكرر مفردات تلح عليه بالظهور مثل تكرار مفردة التراب والبحر وحرج الباكي وتبكي فتكرار هذه الألفاظ أعطى الأبيات تنغيما حزينا ، بل ويكرر القاضي الفاضل تراكيب بعينها مثلما قال الجرجاني أنة الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرد بل لمعنى الألفاظ التي تليها [2] فمثلا يقول القاضي الفاضل:

وخذها عقودا ولا منة إذا قلت للبحر خذها عقودا[3]

فالشاعر يريد أن يصرف ذهن المتلقي لأهمية شعره الذي يجلب للممدوح الخلود فكرر هذا التركيب خوذها عقودا لأن الشاعر يريد أن يركز عليه حيث جاء به في أول البيت ثم وروده في آخر البيت حتى يحدث تقطيعا موسيقيا جديدا .

وتميز عصر القاضي الفاضل بالبديع فاعتبر القاضي الفاضل في شعره الجناس كركن أساسي في شعره لدرجة يمكن القول معها بأنه من النادر وجود شعر للقاضي الفاضل بلا جناس فهو إذا صح التعبير العمود الفقري في شعره وإن كان أنه لم يصرف فيه للدرجة التي تؤدي إلى المشقة والعنت فقوله يصف سيوف ممدوحه :

ماضيات على الدوام دوامي هي في النصر نجد الإسلام[4]

فلفظ دوامي عملت ترجيعا للجرس الموسيقى لمفردة دوام وإعادة لصداها الفني ولأن على المتلقي ما أشاه هذا الجناس من تقوية لنغم هذا البيت الموسيقي .

الخاتمة :

لقد تطرقنا سويا حول البحث الموسوم ((بنية الخطاب الشعري عند القاضي الفاضل البيساني في ضوء النقدين القديم والحديث))، وعرفنا أننا أمام شخصية أدبية علمية بل وإدارية كان لها دور كبير في عصرها على المستوى العلمي والثقافي والسياسي والتاريخي، هذه الشخصية التي تمثل جهدا بارزا ومشاركة أدبية وفنية في عصرين من عصور الأدب العربي، ألا وهما الفاطمي والأيوبي؛ حيث عبرت تلك الشخصية عن ما يجول ويصول فيهما من عدة تجارب على المستوى الإنساني والسياسي والحضاري بل والاجتماعي، مغبرة بكل ذلك عن ملامح الإنسان العربي المسلم أنذاك، ووجدنا مدى ما تمتعت به هذه الشخصية العربية المسلمة من تكامل واتزان نفسي، بل وإيجابية اجتماعية نتج عنها الكثير من الصيغ المعبرة عن المجتمع والإنسان والزمان والمكان في صورة أبيات شعرية وكتابات نثرية تعددت أغراضها وموضوعاتها ؛ حيث عكست هذه الموضوعات المتنوعة، الإنسان العربي وسلوكه في حياته آنذاك، سواء علاقته بالمرأة بمختلف الصيغ الشعرية من غزل وفخر ومدح وعتاب وشكوى ووصف ، بل وعلاقته بالآخرين من حوله في المجتمع ، بمختلف أنواعها من حسد وحقد وحب وغيرها، معبرا عن الإنسان في شوقه واعتذاره في شكوى وبكائه، بل وتطرق إلى المدح حيث يمدح الآخرين لما فيهم من حسن أخلاق ومشاعر إنسانية جيدة، بل ويمدح نفسه واثقا من نفسه ومن أصله ومن فنه، ويعرج متكلما عن الحكمة وخاصة التحلي بالأخلاق الفاضلة، فوجدنا شاعرا ومفكرا وكاتبا ومتأملا، فجاء نصه الشعري مثقل بهموم الإنسان في عصره ومليء برموز وتجارب وتاريخ مواقفه مع عصره، سواء على مستوى البسطاء أو الحكام أو أصحاب الرسل، فأعطى لنا صورة عن الإنسان العربي المثقف والعالم والسياسي، الزاهد والورع .

المصادر والمراجع :

1- ابن حجة الحموي، أبو بكر بن محمد، ثمرات الأوراق، صححه: أبو الفضل إبراهيم، ط١، مصر: مكتبة الخانجي،١٩٧١م.
2- أبو عبد الله جمال الدين محمد، المعيار في نقد الأشعار، مصر: مطبعة الأمانة، ١٩٨٧م.
3- أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية، د.م: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩.
4- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط٢٤، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة.
5- حازم بن محمد بن حسن، أبو الحسن، منهاج البلغاء، د.م: دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦م.
6- الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، بيروت: دار الجيل، ١٩٨١م.
7- خالد سليمان عيد الدولات، شعر القاضي الفاضل دراسة نصية، رسالة دكتوراه، الأردن، ٢٠٠٥،
8- خير الدين الدمشقي الزركلي، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٧م.
9- ديوان القاضي الفاضل "نسخة فوتوغرافية بدار الكتب" وقد ذكر الناسخ في آخرها أنه كتبها من نسخة كتيره التصحيف.
10- سيمينوفا، تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة وتحقيق حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م.
11- عبد الجليل عبد المهدي، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، عمان، دار البشير، ١٩٩٥م.
12- عبد الحسنين الخضر، الشعراء الأيوبيون. دمشق: مطبعة عكرمة، ١٩٩٣م.

[1] الديوان، ص ٤٢٣

[2] الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص ٩٠.

[3] الديوان، ص ٢٦١.

[4] الديوان، ص ٤٩٤.

13- عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم الزبيق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م .
14- عبد الرحيم بن علي البيساني القاضي الفاضل، ديوان القاضي الفاضل، تحقيق أحمد أحمد بدوي، القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦١م.
15- عبد العزيز الأهواني، ابن سناء الملك، جروس برس، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦
16- عبد العزيز قليقة، النقد الأدبي في العصر الأيوبي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩١م.
17- عبد القادر بن عمر البغدادي ، حزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، القاهرة: مكتبة الخاتجي، ١٩٩٧م،
18- عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١.
19- عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني، ريدة القصر وجريدة العصر، تح: أحمد أمين وآخرون، القاهرة: د.د،١٩٥١م، ص ٣٥.
20- عمر الأسعد، نصوص من شعر عصور الدول المتتابعة، الأردن: مكتبة المنارة ، ١٩٨٨م
21- عمر عبد الرحمن الساريسي، نصوص من أدب الحروب الصلبية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٤م.
22- عمر فروخ، الأدب العربي في المشرق، دار العلم، بيروت، د.ت، ص٤١١.
23- عمر موسى باشا، الأدب في بلاد الشام، في عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، دمشق: المكتبة العباسية، ط٣،١٩٧٣م، ص٤٠٢.
24- محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس، أبو البركات، بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٤ ج١ ص١٨٧.
25- محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس، أبو البركات، بدائع الزهور ووقائع الدهور، د.م: مطابع الشعر، ١٩٦٠م.
26- محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الفاطمي، الإسكندرية: منشأة المعارف،
27- محمد سيد كيلاني، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي، القاهرة: نهضة مصر، ١٩٤٩م.
28- محمد كامل حسين ، دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، د.م: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م.
29- محمد كامل حسين، دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، دار الفكر العربي، ١٩٥٧م .
30- محمود السرطاوي، نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية، عمان، دار البشير، ١٩٩٠م.
31- محمود محسن فالح، عشائر شمالي الأردن، عمان: دار عمار، ١٩٩٠م.
32- نجيب محمد، تاريخ الشعر العربي، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠.
33- هادية راغب دجاني القاضي الفاضل عبد الرحيم، رسالة قدمت إلى الدائرة العربية للحصول على درجة أستاذ علوم، بيروت: الجامعة الأمريكية، ١٩٦١م، ص ١١٧.